

ريسونسبل ستيت كرافت: الهجمات على الشحن في البحر الأحمر توتّي ثمارها للحوثيين في اليمن



نشرت مجلة ريسونسبل ستيت كرافت التابعة لمعهد كوينسي لفن الحكم الرشيد تحليلاً للكاتب مايكل هورتون، الباحث في مؤسسة جيمستاون يتناولو

ويقول الكاتب إن الحوثيين يخلقون أزمة شحن عالمية حيث يحصلون على الدعم والإشادة من الدول والشعوب الإسلامية الأخرى لدفاعهم عن الفلسطينيين في غزة. ولكن إلى أي مدى قد يذهبون قبل أن يعود الغرب دفاعاً عن «التجارة العالمية» والأمن الإقليمي؟

في 18 ديسمبر، أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية عن تشكيل عملية حماية الازدهار. وتهدف القوة المكونة من عشر دول إلى ضمان الأمن البحري في البحر الأحمر وباب المندب، وهي نقطة شحن بين البحر الأحمر وخليج عدن. منذ 7 أكتوبر، شن الحوثيون أكثر من مائة هجوم مسلح بطائرات مسيرة وصواريخ - بما في ذلك عدة هجمات استهدفت السفن الحربية الأمريكية يوم السبت - زاعمين أنهم يستهدفون أي وجميع السفن التي لها صلات بإسرائيل.

وتسببت هذه التهديدات في تحويل شركات الشحن العالمية بعيداً عن البحر الأحمر. وبيجر الكثيرون الآن حول رأس الرجاء الصالح، والذي يمكن أن يضيف أكثر من أسبوع إلى أوقات الإبحار وما يصل إلى 20% إلى تكاليف الشحن.

وتؤثر عمليات التحويل أيضاً على الاقتصاد المصري الهش؛ إذ تعد الرسوم من قناة السويس مصدراً مهماً للعملة الصعبة للحكومة المصرية. بالإضافة إلى ذلك، شهد ميناء إيلات الإسرائيلي انخفاضاً في إيراداته بنسبة 80%.

الهجمات توتّي أكلها

وفي حين أن التكاليف العالمية لهجمات الحوثيين على الشحن تتزايد تزايداً مطرداً، فإن الهجمات توتّي ثمارها السياسية وحتى الاستراتيجية الضخمة للحوثيين، الذين يبدو أنهم ينتصرون على جبهة العلاقات العامة داخل وخارج اليمن.

في اليمن، ازداد دعم الحوثيين، حتى بين بعض خصومها. وفي عديد من الدول الإسلامية الأخرى، يُنظر إلى الحوثيين على أنهم «المجموعة الإسلامية الوحيدة التي تقف ضد العدوان الإسرائيلي».

وأثارت الهجمات البارزة، بما في ذلك اختطاف سفينة جالاكسي، الفخر الوطني بين عديد من اليمنيين. وتلفت عمليات الاتصالات الاستراتيجية المتطورة للحوثيين انتباه الجماهير المحلية والدولية إلى كل هذه الهجمات. ووفقاً لمصادر يمنية، فقد أدى ذلك إلى زيادة التجنيد للحوثيين وأدى أيضاً إلى تدفق التبرعات إلى المجهود الحربي من الشركات اليمنية والمواطنين الأفراد. كما أن الهجمات هي دليل على الامتداد الجغرافي للحوثيين وظهورهم كقوة إقليمية.

وكانت النتيجة السلبية الوحيدة للحملة المناهضة لإسرائيل، على الأقل حتى الآن، هي خفض عدد السفن الراسية في مينائي الحديدة والصليف الخاضعين لسيطرة الحوثيين. ويستورد اليمن أكثر من 90% من غذائه وتصل غالبية الواردات عبر الحديدة. وتعد الرسوم والضرائب الناشئة عن الميناء مصدراً مهماً للإيرادات للحوثيين. وستبدأ عمليات الإرساء المتراجعة في الحديدة وارتفاع تكاليف التأمين البحري في الظهور أيضاً.

ومع ذلك، فإن الشعب اليمني هو الذي سيدفع الثمن الأكبر. ويتمتع الحوثيون بتدفقات إيرادات متعددة تشمل كل شيء من مجموعة من الضرائب المحصلة بكفاءة، ومصادرة الشركات والممتلكات، إلى مصالحها في الأنشطة غير المشروعة التي تتراوح من الاتجار بالبشر والأسلحة إلى تصنيع وتوزيع مختلف المخدرات.

تعزير السيطرة

ويلفت الكاتب إلى أن الحوثيين مصممون على المرونة والقدرة على التكيف. وشحذ ما يقرب من عقدين من الحرب قدرات الحوثيين القتالية الحربية. وبعد السقوط الفعلي للحكومة اليمنية في سبتمبر 2014، عزز الحوثيون هذه القدرات من خلال تطعيم تنظيمهم في ما تبقى من الأجهزة العسكرية والاستخباراتية اليمنية. ومنذ عام 2014، استولى الحوثيون بشكل منهجي على كل جانب من جوانب الحكم المدني والأمن والتعليم والاقتصاد في شمال غرب اليمن.

وفي حين أن الحوثيين كانوا ولا يزالون أحد أفضل قوات حرب العصابات المقاتلة في المنطقة، إن لم يكن العالم، فإن نجاحهم داخل وخارج ساحة المعركة في اليمن قد ساعده عدم كفاءة وانقسام خصومها. وفشلت الحكومة اليمنية المعترف بها دولياً باستمرار في توحيد عشرات الميليشيات التي تعمل في تلك المناطق خارج سيطرة الحوثيين.

بالإضافة إلى ذلك، فشلت الحكومة المعترف بها دولياً في السيطرة على الفساد المستشري. ويأتي جزء كبير من أسلحة الحوثيين وعنادهم مما تقدمه المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة لوكلائهم في اليمن.

وتتبع عديد من هذه الميليشيات السعودية والإماراتية المدعومة الأسلحة في سوق الأسلحة المزدهر في اليمن حيث يشتري الحوثيون أو عملاؤهم الأسلحة. وهذا لا يعني القول بأنه لا يوجد فساد داخل منظمة الحوثي. ومع ذلك، فإن الفساد يدار ويقتصر إلى حد كبير على كبار أعضاء المنظمة. ويمارس الحوثيون قيادة وسيطرة مشددة على ترساناتهم ومرافق تجميع الأسلحة والوزارات الحكومية والإمبراطورية الاقتصادية المزدهرة في اليمن. ولم يكن لشمال غرب اليمن حكومة أكثر كفاءة أو وحشية من النظام الحالي الذي يقوده الحوثيون.

منذ 7 أكتوبر، ركزت الولايات المتحدة وحلفاؤها على الإجراءات الدفاعية التي تهدف إلى اعتراض صواريخ الحوثيين والطائرات المسيّرة. وتتزايد تكاليف هذه التدابير باطراد.

ولا يمكن للولايات المتحدة وحلفاؤها الاستمرار بسهولة في إنفاق أعداد كبيرة من الصواريخ النادرة بملايين الدولارات لاعتراض طائرات مسيرة يمكن أن تكلف أقل من ألف دولار. وبممتلك الحوثيون مصانع، يقع عديد منها في مناطق حضرية كثيفة يصعب استهدافها، والتي يمكنها تصنيع - إذا سمحت الإمدادات - العشرات إلى مئات الطائرات المسيّرة منخفضة المستوى في الأسبوع.

كما تُنتج طائرات مسيرة أكثر تطوراً بوتيرة أبطأ، لكن لا يزال بإمكان الحوثيين تجميع عدة مئات منها على مدار بضعة أشهر. وفي حين أن الحوثيين

لديهم ولا يزالون يتلقون المساعدة والعتاد من إيران، تُجمع جميع طائرات الحوثيين المسيرة والصواريخ تقريباً في اليمن. كما يركز الحوثيون بشكل متزايد على تعديل وتكييف المخططات الإيرانية للصواريخ والطائرات المسيرة لتلبية متطلباتهم الخاصة.

تمتلك مجموعة السفن التي تقودها الولايات المتحدة والتي تُحشد الآن في البحر الأحمر وخليج عدن، جنباً إلى جنب مع الأصول الموجودة على سواحل البلدان المجاورة، قوة نيران كافية لضرب القدرات العسكرية للحوثيين، على الأقل على المدى القصير.

ومع ذلك، يجب أن تستمر مثل هذه الحملة لما يمكن أن يستغرق شهوراً وستكون لها تكلفة باهظة لجميع المعنيين. الحوثيون هم سادة حرب غير متكافئة - كما يتضح بوضوح من حملتهم على البحر الأحمر - وسيردون على الضربات التي تقودها الولايات المتحدة من خلال مهاجمة البنية التحتية للطاقة في المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة.

كما سينشر الحوثيون صواريخ وطائرات مسيرة مسلحة أكثر تطوراً. وفي حين أن السفن الحربية الأمريكية والمتحالفة معها ستكون على الأرجح قادرة على الدفاع عن نفسها ضد هذه الأسلحة، فإن الشحن التجاري، وخاصة الناقلات، سيكون معرضاً للخطر بشكل متزايد.

لقد أغلق الحوثيون بالفعل باب المندب أمام عديد من شركات الشحن العالمية. وقد يعني الصراع عالي الحدة في باب المندب وحوله أن حركة الشحن في البحر الأحمر تتضاءل - أو حتى تتوقف تماماً - لعدة أشهر.

هدف الحوثيين

لقد حقق الحوثيون أهدافهم إلى حد كبير: فرض التكاليف على إسرائيل وحلفائها، وإظهار انتشارهم الإقليمي، وتعزيز الدعم المحلي. وليس لدى الولايات المتحدة وحلفائها خيارات جيدة عندما يتعلق الأمر بالتعامل مع الحوثيين.

وبصرف النظر عن العمل على تقييد الهجوم الإسرائيلي المستمر في غزة، فإن الطريقة الوحيدة لتجنب الدخول في حلقة تصعيدية هي أن تواصل الولايات المتحدة دعم الجهود التي تقودها السعودية والعمانية بهدف كبح جماح تهديدات وهجمات الحوثيين.

ومع ذلك، في الوقت نفسه، يحترم الحوثيون القوة فقط. وينظر الحوثيون إلى استجابة الولايات المتحدة الحالية على أنها ليست رادعة، وستنظر عديد من الدول الأخرى والمجموعات غير الحكومية إلى الاستجابة أو عدم وجودها بالطريقة نفسها.

ويختم الكاتب بالقول إن الصراع في البحر الأحمر هو نذير لما ينتظر العالم في المستقبل مع استمرار انتشار أنظمة الأسلحة منخفضة التكلفة ولكن ذات القدرة المتزايدة. وستواجه الولايات المتحدة وحلفاؤها حتماً المزيد والمزيد من المواقف التي لا توجد فيها خيارات جيدة مع زيادة عدم التماثل بين أنظمة الأسلحة عالية ومنخفضة التكلفة.